غات في بعض النصوص العربية

دراسة في مصدر تاريخي[*1]

■ حبيب وداعة الحسناوي كلية الآداب – جامعة طرابلس

غات إحدى الواحات الصحراوية في أقصى الجنوب الغربي من ليبيا، اكتسبت أهميتها وتطورت مع نمو تجارة القوافل بحكم موقعها على ملتقى طرق تجارية صحراوية مهمة تربط فزان فمصر بالسودان، وغدامس فطرابلس، وغدامس فتونس بالسودان، وتربط بلاد الهوسا وتمبكتو وأير وبلاد توات ببلدان المغرب العربي ومصر. ومن خلال هذا الموقع الجغرافي وحده أصبحت غات سوقا تجارية، وقد توسع وازدهر سوق غات التجاري كسوق دولي ينتظم في فصل الخريف حتى منتصف فصل الشتاء كل عام. ويأتيه المتسوقون من كل صوب من الجنوب: من برنو وبلاد السودان وكوار وأير، ومن الغرب يأتيه تجار تمبكتو وتوات، ومن الشمال يأتيه تجار غدامس وطرابلس وسوكنة وهون، ومن الشرق تجار مرزق وجالو وأوجلة ومصر. فيقوم هؤلاء جميعا بجلب بضائعهم إلى سوق غات ويأخذون منه ما يحتاجون إليه، كما يفد إلى هذه السوق جميع قبائل الطوارق والعرب القاطنين في المناطق الصحراوية القريبة والبعيدة عن غات.

ونتيجة لتزايد الطلب على السلع، أصبح سوق غات يعقد دورتين في العام شتوية وصيفية مدة كل منهما ثلاثة أشهر، بل أصبح في أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين سوقا عامرة على مدار السنة.

ورغم الأهمية البالغة التي تحتلها غات في تاريخ ليبيا، وعلاقاتها التجارية والاجتماعية والثقافية ببلاد السودان، ووقوعها على مفترق طرق المواصلات البرية الرابطة بين مختلف مناطق الساحل والصحراء الأفريقية، فإننا لا نجد ذكراً لغات في المصادر العربية المعروفة قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

[*1] – **بحث ألقي في المؤتمر التاريخي السنوي السادس للجمعية التاريخية العربية الليبية المنعقد بغات خلال الفترة من 28 ديسمبر 2003 إلى 1 يناير 2004.**

ولعل أول إشارة إلى غات، كموقع، وردت في رحلة ابن بطوطة في منتصف القرن الرابع عشر أثناء حديثه عن طريق رحلة عودته من السودان إلى المغرب عندما قال « ووصلنا إلى الموضع الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات، وهناك إحساء ما يجري على الحديد، فإذا غسل به الثوب الأبيض إسود لونه» **رحلة ابن بطوطة** (1987) ص706.

والواقع أن تاريخ الواحات الليبية في جميع مظاهره، ما زال غير مدروس، ولم يؤلف علماء هذه الواحات تأليفا يغطي جوانبه، ويسجل أحداثه، ويدرس مظاهره المختلفة إلا ما نجده من نتف هنا وهناك في بعض المؤلفات أو الكناشات، أو الأرسام، أو في بعض الرسائل الديوانية أو الشخصية التي لا زالت في حوزة بعض الأفراد والأسر. وكتاب مصطفى خوجه حول فزان[1] الذي استخلصه من بعض تواريخ فزان إنما يرصد بعض الأحداث السياسية، وبعض مظاهر الصراع بين أولاد محمد الذين كانوا يحكمون فزان خلال المرحلة من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر. ولا يتكلم عن مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لفزان خلال تلك المرحلة، ولم يذكر فيه شيئاً عن غات.

إن الباحث في تاريخ الواحات الليبية عامة عليه أن يعود إلى كتب التصوف، وإلى كتب الرحلات العربية والأجنبية، وإلى الأعمال الأدبية والشعرية، والشروح الفقهية مثل شروح الفقيه علي الحضيري، والفتاوي الشرعية لفقهاء المرحلة، بالإضافة إلى السجلات والوثائق الرسمية التي يوجد بعضها الآن في حوزة بعض الأفراد، وتعود إلى عهد أولاد محمد أو العهد العثماني الثاني.

وعندما بدأ الأوروبيون يولون اهتماماً متزايداً بدواخل الصحراء الكبرى عموماً، ودواخل ليبيا خصوصاً، بدأوا في جمع ما يقع تحت أيديهم من معلومات تتعلق بهذا التاريخ، وكانوا يطلبون من بعض الأفراد القيام برحلات لحسابهم في هذا الخصوص كما فعل الفرنسيون مع الشيخ الحشائشي الذي كلفه الفرنسيون في تونس بزيارة الدواخل الليبية وكتابة تقارير عنها ، أو كتابة تواريخ تتصل بتاريخ تلك المناطق وسكانها، وعوائدهم، والقبائل والجماعات ذات التأثير فيها. وصار اهتمامهم بالتاريخ الثقافي والاجتماعي لسكان الواحات الليبية بهدف تكوين مصرف معلومات عنها، يشمل الأدب والفن والتاريخ والطرق الصوفية، كما يشمل دراسات ولهجات وأصول سكانها المختلفة، وعمل قواميس تشرح مفردات هذه اللهجات، وتتناول حروب هذه القبائل وأساليبها القتالية وأنواع أسلحتها. وقد حرص الرحالون الأجانب ومبعوثو الاستخبارات وأعوانهم على جمع

---

1 – مصطفى خوجة، تاريخ فزان، تحقيق وتقديم حبيب وداعة الحسناوي، طرابلس، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي (1979).

ما يقع تحت أيديهم من مخطوطات تتعلق بالآداب والفنون والتعليم والتاريخ. وهكذا فقد اختفت المخطوطات التي تركها أبناء هذه الواحات، وبعضها حصل عليه هؤلاء الغرباء ونقلوه إلى بلدانهم ، ولم نعد نعرف عنها إلا ما يذكره هؤلاء المستشرقون عنها. بعضها محفوظة في مكتبات بلدانهم ، وبعضها ضاع أصله العربي، ولم يبق منها إلاّ ترجمات محرفة لبعض اللغات الأوروبية كالفرنسية أو الانجليزية. ومن هذه المخطوطات التي كتبت في إطار جمع معلومات لصالح الإدارة الفرنسية عن واحات الصحراء وشعوبها مخطوطة تتعلق بغات وقبائل الطوارق المتصلين بها.

وهذه الورقة تحاول مناقشة محتويات هذا المخطوط، ومقارنة معلوماته بالمعلومات التي بدأت تتوفر حول غات في مصادر أخرى، كتبت في المرحلة نفسها (أواخر القرن التاسع عشر) كمخطوطة الحاج عثمان بن عمر عثمان بن معتمد بن الحاج العباس بن الحاج محمد بن الطاهر الغاتي الذي كتبه بلغة الهوسا عن تاريخ غات لصالح الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة في طرابلس في سبتمبر 1879. وقد اعتمد عليه كراوزة بشكل أساسي في بحثه عن تاريخ غات الذي نشره الدكتور عماد الدين غانم ضمن أعمال أخرى لكراوزة عن الدواخل الليبية ضمن منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية تحت عنوان: **الدواخل الليبية في مجموعة دراسات الرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة**، طرابلس، (1998). وكان كراوزة يعرف باسم منتحل وهو موسى كراوس بن حمد الله.

وتهدف هذه الورقة إلى توسيع دائرة الفهم حول هذه المنطقة ، ومجتمع سكانها وحياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأخلاقهم وتصرفاتهم، وتجاراتهم الواسعة مع المناطق المختلفة، وحروبهم وعلاقاتهم مع جيرانهم، ومكانة غات من الوجهة الاستراتيجية والسياسية والتجارية، وربط تاريخ هذه المنطقة بالتاريخ الليبي العام، وتطورات الأحداث الدولية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وهذه المخطوطة تشمل نبذة حول بعض أوصاف وأخبار غدامس، والطوارق، وغات والسودان، ومعلومات أخرى كتبها شيخ إحدى الزوايا التجانية ببلدة قويمار بوادي سوف بالجزائر، وهو – كما جاء في رسالة له موجهة إلى بعض أعيان الطوارق، يصف له فيها كرم الفرنسيين وعدالة حكمهم – يُعرِّف نفسه بالعالم الشهير الشيخ محمد العروسي نجل الشيخ المرحوم محمد الصغير التجاني. وهو صديق شخصي للأستاذ مونتلنسكي أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية في قسنطينة ومدير مدرسة الآداب بالجزائر . وأعتقد أن هذا التقرير قد أعده العروسي بناء على طلب مونتلنسكي الذي قام

بنشره ضمن مجموع كرَّسه للهجات البربرية ولهجة غدامس الذي ضمنه أعمال من سبقه في هذا المجال، علاوة على نتاج دراساته هو في جبل نفوسة وغدامس حول اللهجات البربرية[2]. وقد زار مونتلنسكي بلاد سوف زيارة علمية عام 1904، واجتمع ببعض أهالي المنطقة، ومنهم الشيخ العروسي ، وقد استعان بهم في مراجعة معلوماته والتعرف على الأشخاص الذين يتقنون اللهجة الغدامسية من القاطنين في بلاد سوف للاستعانة بهم في مراجعة قاموسه ، وضبط مخارج ورسم الكلمات ، وكذلك المعلومات التي حصل عليها بالمراسلة عن غدامس، التي لم يزرها شخصيا ، من خلال أسئلة كان يوجهها للمعنيين حول المنطقة وتاريخها ولغتها ... إلخ قبل نشر كتابه .

وكان الفرنسيون يستعينون بمشائخ هذه الطريقة الذين لهم معرفة بالعربية واللهجات الأفريقية. وبحكم مناصبهم الدينية، ومكانتهم الاجتماعية، كان مشائخ الزوايا الصوفية يحتفظون بعلاقات واسعة مع مختلف فئات الشعب، ومع الوافدين إلى زواياهم من مختلف الأنحاء سواء كانوا تجاراً، أو حجاجاً، أو طلاب علم، وكانو يحصلون منهم على معلومات متنوعة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بلدانهم. وقد تقربت السلطات الفرنسية إلى مشائخ الطريقة التجانية، واستخدمتهم في بث الدعاية لحكمهم، وجلب القبائل إلى جانبهم، وتقديم ما لديهم من معلومات ومعارف عن تاريخ المناطق الصحراوية، وتقسيمات القبائل فيها وعوائدهم، وذكر مقدميهم وذوي النفوذ والسلطان فيهم؛ لتستفيد منها السلطات الفرنسية في مشاريعها التوغلية في المناطق الصحراوية.

إن المساعي الفرنسية كانت تتجه منذ القرن السابع عشر إلى جمع المعلومات عن الدواخل الليبية. وبعد احتلال فرنسا للجزائر عام 1830، بدأت تسعى إلى الدخول مع سكان واحات غدامس وغات في علاقات ودية؛ بهدف ضمهما لمستعمراتها في الجزائر وتونس وتحويل مسار التجارة الصحراوية عبرهما لتتجه إلى تونس أو الجزائر، ولكن دون نجاح يذكر. ومع ذلك ظل هذا الهدف يحتل مكانا بارزاً في سلم أولويات السياسة الفرنسية في إفريقيا طوال القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين. وكانت البعثات الفرنسية العلمية والعسكرية تمهد لزيادة نفوذ فرنسا، وتحقيق مخططها الكبير للسيطرة على مناطق الصحراء، واقتطاع هاتين الواحتين المهمتين تجاريا من الأراضي الليبية الخاضعة للدولة العثمانية ، وربطهما بالمناطق التي تسيطر عليها فرنسا

---

2 – A. de C. Motylinski. Le Dialecte Berbere de R'edames. Paris. Ernest Levoux (1904)

في الجزائر والسودان .

والنص الذي نستعرضه في هذه الورقة يتناول الباب الأول منه ، الذي يتكون من (11) أحد عشر فصلاً ، معلومات عن غدامس وأرباب السلطة فيها ، وقبائلها ، وقضاتها وعدول المحكمة، والزوايا الصوفية ومشائخها، وقبائل الطوارق المتصلة بغدامس ، ولغة أهل غدامس وحسابهم من واحد إلى عشرة، وطريقة كتابة الأرقام وبعض الجمل العربية وما يقابلها في اللغة الغدامسية. وكَرَّس الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر للحديث عن الطرق التي تربط غدامس بفزان، وعين صالح وغات. وذكر مراحل كل طريق مرحلة مرحلة.

غــات.

وغات موضوع بحثنا ، ملتقى طرق الشمال والجنوب، ومحطة قوافل تجار طرابلس وغدامس والسودان ، ترتبط بعالم البحر المتوسط بواسطة الطريق الرابطة بين غات وغدامس ومنها إلى طرابلس. وطبقاً لما جاء في المخطوط هناك ثلاث طرق تربط غات بغدامس، وهي طريق الوسط ويسمى إلْغَارْ، وهي سبع عشرة مرحلة، والطريق الغربي ويسمى بُواعَرْجات، وهي ثلاث وعشرين مرحلة، والطريق الشرقي يسمى إنَّزار، وهي أطولها، وتقدر بتسع وعشرين مرحلة.

يتناول الباب الثاني من المخطوط الحديث عن غات، صفاتها، عوائدها، وحرف وصنائع أهلها. وجاء في الفصل الأول وصف البلدة، وهي كما يقول:

غات: مدينة صغيرة تستند على سفوح الجبل[3] مبنية من الطوب والحجر المستخلص من الجبل وهي تضم أكواخ عراريش للتوارق. لها سور والدخول والخروج منها يتم من أربعة أبواب الباب الأول من جهة الشمال «الجوف» ويسمى باب الخير[4]، وعادة تدخل منه القوافل القادمة من غدامس[5].

---

3 – هوجبل كوكمن الممتد من الجنوب إلى الشمال، ويتكون من ثلاث هضاب ، وقد شيدت البيوت في الأماكن المرتفعة لحمايتها من فيضانات وادي تـنزوف، وإتقاء للغارات التي تتعرض لها البلدة من الأعداء الكثيرين. انظر، عبدالقادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، طرابلس : دار المصراتي للطباعة والنشر (1974) ص130–131.

4 – ارتبط ازدهار فزان منذ أقدم العصور بتجارة القوافل، وكانت القوافل القادمة من الشمال تحمل بشائر الخير، ولعله من الظريف أن نشير أن الباب الشمالي لبلدة مرزق يسمى أيضا باب الخير، (جامي، ص105).

5 – في بداية القرن يبدو أن هذا الباب وباب الزاوية أصبحا خاليين، وتركزت الحركة على بابي كلالة وتَـفْغَغَات. ويشير الحاج عثمان أن أبواب المدينة الثلاثة تقفل مباشرة بعد صلات المغرب. وباب تفغغات هو الوحيد الذي يظل مفتوحا حتى صلاة العشاء. ويضيف أن هناك بابا قديما يدعى أجف أنكن يقع بين البابين الجنوبي والغربي مغلق الآن ، أي حوالي عام 1879 (كراوزة، ص101).

والباب الثاني من جهة الجنوب «القبلة»، ويسمى باب كَلاَلَة، وتدخل منه القوافل القادمة من كل الاتجاهات[6].

والباب الثالث يقع بين الجنوب والغرب (أي في الجنوب الغربي) يسمى باب تَفْغَغَات، وتدخل منه أيضاً القوافل القادمة من كل الاتجاهات[7]. والباب الرابع والأخير يقع في الشمال الغربي ، ويطلــق عليــه بــاب الأمــين، وهــذا البـاب مخصص للأفراد، ولا تدخل منه القوافل إلا نادراً.

يحيط بغات عدد من القرى، أو الدشور الصغيرة ومنها دشرة تُونين[8]، غربي المدينة بحوالي كيلو متر، ودشرة تَدَرَمْتْ شمالاً على مسافة نصف كيلو متر تقريباً، وهي تشتهر بكثرة نخيلها مقارنة بنخيل غات، وإنتاج ثمرها أكثر من إنتاج غات. وبدون تفاصيل يذكر أن بغات مزروعات وفواكه[9]. وباعتبار غات محطة تجارية فقد كانت تقصدها القوافل من كل مكان. وتنعقد سوق غات في الماضي خلال فصل الخريف إلى منتصف الشتاء[10].

وفي المرحلة التي كان فيها الشيخ محمد العروسي يكتب تقريره، يقول إن السوق أصبح سوقاً دائمة يرتادها البائعون والشارون خلال جميع فصول السنة. ما يعني أن المدينة قد زادت أهميتها

---

6 - هذا الباب هو المدخل لمحلة الغدامسية الواقعة في الجنوب الشرقي من البلدة ، (جامي، ص134).

7 - تَفْغَغَات هذا هو الباب الرئيس لغات، ويقود إلى السوق مباشرة ، وهي مجموعة حوانيت ، وإلى الميدان الرئيس للبلدة ؛ حيث يتم التبادل التجاري . وهو أكبر أبواب المدينة ، كما يصفه عبدالقادر جامي الذي عاش في المدينة ما بين 1906–1908 كقائمقام ورئيس لحاميتها العسكرية . «فيقول أن هذا الباب ... أنشط محل في بلدة غات ، فكل ما تحمله القوافل من طرابلس وفزان والسودان وتوات تكدس أمام هذا الباب ويزيد في منظر باب تفاغات الضعف يوم وصول قافلة كبيرة أو رحيلها فأدناك البضائع التجارية المغلفة بعناية، وأكياس التمر والزاد وقرب الماء وصناديق الأمتعة (الصحاريات) وخلال هذه الأشياء كلها الوطنيين ووكلاء التجار الآتية لاستقبال وتشييع المسافرين والتجار، والحمالين الزنوج الذين يتنافسون في تجاذب هذه الأشياء لحملها كل هذه الحالة تضيف رونقا وجاذبية لمشاهدتها» (جامي، ص134).

8 - يشير الحاج عثمان (ص102) أن قرية تونين لا يزيد عمرها عن ثلاثين عاماً وقت كتابة بحثه عن تاريخ غات الذي كتبه لكراوزه ، المشار إليه، أي أنها بنيت في حدود عام 1850.

9 - تذكر مصادر أخرى أنه بفضل توافر المياه العذبة الغزيرة كانت تزرع بغات أشجار الليمون والخوخ والتين، وتزرع الخضروات، والعلف، والطباق والقطن، أنظر الديناصوري ، جغرافية فزان دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع (1967)، ص404. ويشير عبدالقادر جامي، (ص144) الذي يؤكد وفرة المياه المستخرجة من العيون الكثيرة بغات ، والتي يقدرها بأكثر من خمسين عيناً ماء بين كبيرة وصغيرة، إن جميع الحبوب التي تزرع بفزان كانت تنمو في غات ، وكذلك الخضر والفواكه التي تنمو في حوض البحر المتوسط ، ولكنه يؤكد أن الأشجار المثمرة قليلة العدد، وأن الغاتيين لا ينتجون من الخضروات إلا النذر اليسير .

10 - إن مهرجان غات السياحي العالمي الحالي ، الذي ينعقد في أواخر الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر كل عام ، في تقديرنا ، هو إعادة لسوق غات التجاري الدولي، وينعقد في نفس المرحلة الزمنية التي كان ينعقد فيها سوق غات التجاري الدولي.

الاقتصادية والتجارية، وتوطدت علاقاتها مع جيرانها من خلال نمو حركة التجارة وتبادل السلع[11].

ويتحدث عن علاقات غات التجارية مع بلاد السودان والقوافل السودانية التي تقصد المدينة أو الواحة سنوياً وقت انعقاد السوق، وتمكث في المدينة لمدة شهرين. والبضائع التي كانوا يجلبونها كانت تشمل إلى جانب العبيد والخيول أنواعاً أخرى من السلع كناب الفيل، والجلود، وريش النعام، ورواحل ركوب الإبل، والتبر، والأسلحة التقليدية التي يستخدمها الطوارق كالنشاب والذرعيات. أما السيوف فإنها كانت صناعة مزدهرة في غات، وتأتي المادة الخام «الحديد»، الذي يصنع منها السيوف من مصر، كما يقول المخطوط.

وأكثر سلع قوافل السودان يشتريها تجار غدامس. أما قوافل السودان فيشترون من غات، السلع الواردة من طرابلس وتونس كالكتان والحرير، واللف، والطواقي (الكبوس) والسكر.

وكان مقدم أو كبير ركب القوافل السودانية رجل أسمر قصير القامة، اسمه مَنْدَرْفا، يمارس نفوذاً انضباطياً قوياً على جميع رجال القوافل التابعة له . فكلهم يخضعون لأوامـره، ولا تتحرك القوافل في حلها وترحالها إلا بناء على أوامره. ونظراً لكثرة عددهم[12]، فقد كانت وسيلة الإعلان عن بدء الرحيل ، البوق الذي هو على هيئة قرن حيوان ضخم، ينفخ فيه فيصدر صوتاً عالياً يعلن عن بدء الرحلة، بتـفقد الإبل عسى أن يكون بعضها قد ضاع ، أو بعد عن مكان القافلة والكلمة المستخدمة **ولابا** ، أي ألم يضع شيء من الإبل؟. فإن كان الأمر كذلك قام الركب، فيرسلون الصبيان الصغار للبحث عن الإبل المفقودة وإعادتها إلى مكان المرحول، وترحل القوافل بعد ذلك.

---

11 – يذكر الشيخ محمد بن عثمان الحشائشي الذي زار غات ووصلها في مطلع شهر سبتمبر 1896، وشهد وصول قوافل السودان أنه وصلت « غات قافلة الصيف من برنو في 16 سبتمبر 1896 وتتألف من 700 بعير محملة بجلود ماعز السودان المدبوغة وتسمى رقعة وناب الفيل وريش النعام والعبيد السودانيين». وقد تأخرت هذا العام عن موعد وصولها المعتاد بسبب الجفاف ونقص المراعي ما جعل القافلة تسير ببطء مراعاة لحالة الإبل المجهـدة الجائعة . =

= « وبعد أيام قليلة من وصول قافلة الصيف ، أي في 17 أكتوبر وصلت قافلة الشتاء وتعد 900 بعير...)) الرحلة الصحراوية، ص141، 142. والواقع أن غات ازدهرت تجارتها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الاحتلال الإيطالي للبلدة في صيف 1914 ، والسبب في ذلك يعود إولا لإضمحلال تجارة مرزق بسبب منع تجارة الرقيق ، واكتشاف وتزايد استخدام طريق واداي – بنغازي عبر واحات الكفرة وجالو ؛ ما حرم مرزق جزءا من التجارة التي كانت تمر عبرها.. كما أن عدم مراقبة أسواق غات جعل المغامرين ينقلون تجارتهم عبرها . وعبدالقادر جامي، الذي زار غات بعد عشر سنوات من زيارة الحشائشي ، يؤكد ازدهار الحركة التجارية بغات من خلال وصفه لحركة السوق وأنواع وكمية البضائع المختلفة التي ترد السوق من مختلف الأصقاع. راجع، جامي، ص 134–135.

12 – يقدر الحشائشي (ص131) عدد إبل القوافل التي تدخل غات سنويا بحوالي (30000) ثلاثين ألف جمل.

ويكون وقت انطلاق القوافل مع الفجر[13]. ويحذر المسافرون عن طريق البوق أن لا يتخلف أحد خلف الركب خوفاً من اللصوص، ولا يتقدم أحد قبل كبير ركب القافلة، والعبارة المستخدمة في ذلك **كَدَكَ رَمَا أَبَّايا** ، أي لا يتخلف أحد خلف الركب.

ويذكر المخطوط أن كبير أو قائد القافلة هذا ساحر، ويقضي بعض أموره عن طريق السحر. وقد مات هذا الرجل وحل محله في قيادة قفول السودان رجل آخر يسمى مدقو أبو بكر.

ويشير المخطوط لبعض عوائد غات المتوارثة عندهم من أسلافهم، ولازالت قائمة بينهم في تقسيم تركة المتوفي بين مستحقيها، والتي تبدو مخالفة لقواعد الشريعة الإسلامية في تقسيم الإرث بين الورثاء الشرعيين.

حيث يقول « إذا مات رجل فإن زوجة الهالك والبنات يأخذن ميراثهن منه جميع ما تركه من النخل والزرع والجدار. أما الأولاد الذكور يأخذون جميع ما تركه من الفلوس والسلع والإبل وغير ذلك»[14]. وقد جاء أحد الفقهاء، واسمه الحاج أحمد الطاهر، إلى غات ، وحاول أن يصلح بينهم ويرشدهم، ويبطل هذه العادة المخالفة لقواعد الشريعة. فأمرهم بالرجوع عن تلك العادة، فلم يفلح. ويبدو أنه كنوع من الاحتجاج، خرج من البلدة إلى مكان قريب منها ، وبنى زاوية هناك ومات فيها.

وفي الفصل الثاني يتكلم الكاتب على تولي السلطة في غات، وقد كان حاكم غات واسمه خامن بن عمر الصافي أصله من توات من الأنصار، جاء إلى غات مع أبناء عمومته ، واستقر في إحدى قراها المسماة تُونين. وعندما امتدت السلطة التركية على غات وأقامت حامية عسكرية فيها، أبقى

13 – عادة تبدأ القوافل عابرة الصحراء السير مع العصر في فصل الصيف ، وتستمر حتى قبيل الشروق ؛ حيث الليل الطويل وتنخفض درجة الحرارة ، وينتعش الهواء ويساعد الإبل والمسافرين على السير الذي يعبر عنه (بالسروة) لمرحلة تصل إلى اثنتا عشرة ساعة حتى تباشير الصباح ، حيث تناخ الإبل ، وتفك حمولتها وتنصب الخيام ويرتاح المسافرون أثناء النهار حيث درجة الحرارة مرتفعة، وترسل الإبل للمراعي. ولكن في الشتاء يحصل العكس ، حيث شدة البرودة في الليل تمنع مواصلة الرحلة ، وبالتالي يتم بدء السير باكراً حتى قبيل الغروب حيث تناخ الإبل ويرتاح المسافرون . وعليه فإن النقليات تبدأ عادة من شهر إبريل حتى منتصف الخريف. والقوافل التجارية التي تسافر بين طرابلس وغات ومرزق تقع أسفارها في هذه المرحلة الزمنية. **وكذلك القوافل السودانية المتجهة إلى غات ومرزق والعكس.**

14 – لقد خلَّفت هذه العادات آثاراً اجتماعية واقتصادية بالغة الأثر في المجتمع الغاتي والطارقي حيث أصبحت النساء بما يملكن من أموال، ليس للرجال فيها أي حق للتصرف ، يتمتعن باستقلال اقتصادي . وهكذا كانت المرأة قوية وهي صاحب النفوذ والكلمة في بيت الزوجية خصوصاً إذا كان الرجل لا يملك مالا. ويذكر عبدالقادر جامي الذي أورد هذه الملاحظة إنه كثيراً ما يشاهد – على أيام إقامته في غات (1906–1908) « عندما يفترق الزوجان بعد نزاع .. الزوج المسكين وهو خارج من البيت لا يحمل إلا ملابسه التي عليه وعصاه الطويلة التي في يده « ، (جامي، ص149–150).

الأتراك على الصافي المذكور في مكانه كقائمقام على غات[15]، وبعد وفاة الأخير تولى مكانـه أحد

15 – تاريخ غات، قبل وصول العثمانيين، يكتنفه كثير من الغموض، وحاول الحاج عثمان في مخطوطه الذي كتبه بلغة الهوسا عام 1879، أن يكتب تاريخا لغات اعتمد فيه على الذاكرة وما يردده الناس من روايات حول تاريخ البلاد ووقائعها وأحداثها ، ولكن فيه كثير من الثغرات والهفوات . ولكن الثابث أن غات قبيل مجيء العثمانيين كانت تحكم حكما ذاتيا ، وكانت تعيش حياة غير مستقرة بسبب تذبذب ادارتها . وفي حوالي منتصف القرن التاسع عشر تولى ادارتها أسرة تواتية من الأنصار، سلبت السلطة من حكامها القدامى بدعم من الطوارق اللذين دخل أفراد هذه الأسرة في علاقات مصاهرة معهم. وبعد أن انتقل الحكم إلى العثمانيين عام 1875، أبقوا – وفي اطار سياستهم الاستعانة بالأعيان المحليين – ابقوا على الصافي الأنصاري ، الذي كان قد اتصل بالعثمانيين في مرزق وعرض عليهم مد سيطرتهم على البلاد. في اطار محاولاته لمجابهة الأخطار الخارجية المحتملة المتمثلة في الفرنسيين الزاحفين نحو الجنوب من الجزائر ، ومجابهة تعديات القبائل التي تُعرِّض الأمن على طرق تجارة القوافل، وحياة الناس المدنية للخطر، ابقوا عليه في وظيفة قائماقام وربطوا له معاشاً ومنح لقب الباشوية، كما ربطوا معاشات لبعض رؤساء الطوارق كخنوخن زعيم الأزقر، والذين ضعف مركزهم أمام الهقار بسبب الحروب الطاحنة بين المجموعتين المتنافستين، واصبح الأنصار الذين أصبحت وظيفة القائمقام الشرفية تتداول بينهم إلى فترة طويلة يعتقدون بحقهم التاريخي في حكم البلاد، (عبدالرحمن تشايجي ،1982، ص70 – 103).=

= ونتيجة للصراعات بين الطوارق التجأ طوارق الأزقر، الذين فقدوا إبلهم أمام غزو طوارق الهقار في الحرب التي دارت حول أسوار غات عام 1874، وفقد فيها زعيم قبائل الأزقر اخنوخن ، أحد أبنائه، ونهبت غات، وأصبح الهقاريون سادة المناطق ما بين غات وتوات. لجأ الأزقر على الأثر إلى طلب المساعدة والحماية التركية لأخذ الثأر. والتقت رغبتهم مع رغبة سكان غات الذين تضررت مصالحهم الاقتصادية بسبب الحروب وانعدام الأمن. فالنشاط التجاري يزيد من رخاء البلاد ، ونمو ثروات أهلها وخاصة الطبقة التجارية التي يأتي على رأسها أفراد أسرة الأنصاري الحاكمة، والتي لها تجارات ممتدة رابحة مع السودان وتوات وتونس وطرابلس ومرزق.

وقد شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر تفجر صراعات قبلية متعددة مستفيدة من تردي الأحوال السياسية في طرابلس في نهاية حكم الأسرة القرمانلية . والعقود الثلاثة الأولى بعد عودة الحكم العثماني لطرابلس في 1835، سجلت هذه المرحلة وقوع صراعات بين الطوارق والتبو، وأولاد سليمان وعرب الشاطيء وبين قبائل الهقار وقبائل الأزقر، وبين قبيلتي أوراغن ومنغساتن الأزقريتين ما أثر سلبا على تجارة غات، علاوة على تهديدات المشاريع الفرنسية التوسعية في الصحراء، ومحاولات الفرنسيين المستميتة لتحويل طرق التجارة بين غات وغدامس إلى الجزائر. وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف كان الفرنسيون يرسلون البعثات المتكررة العسكرية الاستقصائية والتبشيرية والجاسوسية ، تحت غطاء الرحلات العلمية ، في اتجاه غدامس وغات، ومنها إلى دواخل الصحراء . وقد اصطدم الطوارق مع هذه البعثات ، وقتلوا أفرادها الذين وصلوا إلى مناطقهم، ما ولّد قناعة مشتركة لدى الغاتيين والطوارق بضرورة مواجهة التهديدات الفرنسية وذلك بطلب المساعدة التركية. ولتوطيد الأمن وجلب الرفاهية والاستقرار للمدينة ، وهو ما يريده سكان غات.

وكان أعيان غات وسلطتها المحلية تتوق إلى الدخول تحت الحكم التركي ، إلى جانب الأسباب المشار إليها ، للتخلص من تسلط الطوارق . وقد عبروا عن رغبتهم في ضم واحتهم إلى الإدارة التركية في فزان منذ فترة مبكرة خلال أعوام 1849، 1854 ، 1858 ، 1862، بطلب تعيين قاض شرعي وإرسال حامية عسكرية تركية قوية تعسكر في مدينتهم، غات. ولكن ظروف الواقع الدولي والداخلي التركي العثماني لم تساعد على تلبية رغبة أهل غات . ولكن اهتزاز مركز فرنسا الدولي بعد هزيمتها أمام المانيا في حرب 1871/1870 ، وانفجار الوضع في الجزائر ما اضعف موقفها الدولي، وجعلها تنكفيء إلى معالجة أوضاعها الداخلية وإعادة بناء قوتها الأوروبية والانشغال بمجابهة التطورات المتفجرة في الجزائر، وإرجاء مشاريعها التوسعية الأفريقية مؤقتا ، ما سهل على الأتراك العثمانيين مد سيطرتهم على غات بناء على طلب حاكمها المحلي محمد الصافي الانصاري وطوارق أزقر في أثناء ولاية مصطفى عاصم باشا في عام 1875 . وهكذا أصبحت غات قضاء تابعا لمتصرفية فزان .

أقـاربـه المسمى الحاج عبد الله[16]. أما طوارق أزقـر فقد كان مقدمهـم أو الحاكم في غات يسمى خنوخن[17]، ثم صار الأمر بعد وفاته لابن أخته المسمى يحي. وبعد وفاة الأخير انتقل الأمر إلى انقدازن، وهو القائم بالأمر الآن[18].

وفي الفصل الثالث يتكلم الشيخ العروسي عن عروش غات وكبارها، وأماكن نزولهم في الصحراء أو في البادية. ولكن الكاتب موتيلنسكي الذي قام بنشر هذا المخطوط حذف محتويات هذا الفصل ، دون أن يشرح الأسباب.

وفي الفصل الرابع تحدث الكاتب عن أسماء أهل المجلس الشرعي في غات، ولكنه لم يذكر إلا اسم القاضي الشرعي، واسمه الحاج محمد الدَّكوره، وهو ينحدر من أب غدامسي وأم غاتية.

والفصل الخامس كَرَّسة الكاتب للحديث عن أسماء الزوايا الصوفية الموجودة في غات، ومشائخها، أو كما يسميهم «المقدمين والمشائخ الناقلين عليهم الطريقة والقائمين عليها»، وهي أولا الزاوية القادرية ، نسبة إلى سيدي عبد القادر الجيلاني، واسم مقدمها سي الحاج إبراهيم، والثانية زاوية سيدي أحمد التجاني. وكان اسم مقدمها قبل وفاته اقحَفَشْ، ولم يذكر الكاتب اسم

16 – يشير الحشائشي الذي زار غات، وعقد علاقات صداقة مع أفراد من عائلة الأنصاري الحاكمة في غات ، قبل أن يصل غات ، إذ تعرف على أحد أبني المرحوم الصافي الذي وجده بمرزق يعمل في حقل التجارة، وكان مريضا بالحمى، وعندما تماثل للشفاء بسبب ما أعطاه الحشائشي من أدوية « الكنيـة « قرر العودة إلى بلاده ، ولكن سرعان ما انتكس، ومات في أول أيام سفره بعد أن سقط من ظهر بعير ، ومات في الحال، ودفن خارج مرزق. وقد صلى عليه الحشائشي وبعث لأهله رسالة يخبرهم بنبأ وفاته . كما ارتبط الحشائشي بعلاقات صداقة مع علي الأنصاري، وهو الأخ الأصغر للحاكم القائم الذي تعرف عليه في مرزق أيضا ، إن حاكم غات وقت زيارته لغات ، وكان ذلك عام (1896)، هو سيدي الحسن بن الحاج أحمد بن سيدي حسن الأنصاري ، وهو ابن عم الصافي بن الحاج الأمين بن الصادق الأنصاري، والذي يكتبه الحشائشي، وربما تسرب إلى الترجمة خطأ، الضاوي . وتولى الحسن المذكور الحكم بعد وفاة الصافي الذي قتله الطوارق عام 1886، بسبب سياسته الاصلاحية ومحاولاته الحد من تعدياتهم؛ نظرا لغياب شقيق الصافي ، المسمى يحي ، الذي كان يمارس التجارة بتوات . وعندما عاد الأخير إلى غات، ترك ابن عمه الحسن في منصبه لأن يحي « لم يكن راغباً في الاحتفاظ بهذا المنصب « (الحشائشي ، ص130).

17 – وفي إطار توطيد السلطة التركية العثمانية في تلك المناطق تمّ ضم واحة جانب ، وهي مركز مهم من مراكز طوارق أزقر، إلى السلطة العثمانية وتعيين الرئيس الأزقري أخنوخن قائم مقاما عليها ، وربطوا له معاشاً شهرياً، كما أشرنا.

18 – ولكن بعد امتداد السيطرة العثمانية إلى غات وإقامة حامية عسكرية بها في القلعة القديمة في وسط البلدة ، مات اخنوخن عام 1302 الموافق 1885، وأعلن خليفته يحي، ابن اخته، بعد عودته من السودان الثورة على الأتراك، وهاجم غات وقتل أفراد حاميتها وقائم مقامها محمد الصافي وقائد الحامية اليوزباشي جعفر أفندي، ولكن أرسلت نجدات عسكرية من مرزق وبمساعدة طوارق الهقار، تمكنت القوات التركية من استعادة سيطرتها على غات (محمود ناجي، ص189). وقد أخلاها العثمانيون ، ولم يعودوا إليها كمقر للحامية حيث بنوا قلعة جديدة خارج البلدة القديمة على حافة نبع عين تشيت في المثلث الواقع بين قريتي تدرمت وتونين وغات – البلد . وأصبحت مقراً للحامية وللإدارة العثمانية في غات. وأثناء الاحتلال الإيطالي تمّ إزالة المبنى القديم وبناء ورشة ومخازن على أنقاضها واستمرت كذلك حتى أواخر سبعينيات القرن الماضي حيث بني في مكانها مبنى إدارياً .

خليفته. والثالثة زاوية مولاي الطيب، واسم مقدمها سي إبراهيم بن عبد الحميد. والزاوية الرابعة والأخيرة هي الزاوية السنوسية، واسم مقدمها سي علي بن عبد الله، وجاء لتولي إدارة هذه الزاوية من الجغبوب.

ويتناول الفصل السادس أسماء العروش أو الأقوام الذين يتعاملون مع أهل غات في التجارة وغيرها. فكانوا من توات، وطوارق أزقر، ومن غدامس، والسودان، وفزان. وخص الفصل السابع بذكر اللغات السائدة في غات ، هي العربية، والطارقية، والغدامسية، ولغة أهل السودان ، ولعله يقصد الهوسا[19].

ويتناول الفصل الثامن حروب أهل غات. ولكن ناشر هذا المخطوط تجاوز نشر محتوياته لأسباب لم يذكرها أيضا.

وفي الفصل التاسع ذكر مراحل الطريق التي تربط غات بعين صالح مرحلة مرحلة، وعددها عشرون مرحلة. المرحلة الأولى منها من غات إلى إنيدينان وهو رأس جبل وهو ما يعرف اليوم (كاف الجنون) . وفي الفصل العاشر ذكر أسماء مراحل الطريق من غات إلى اير، وهي تسع وعشرون مرحلة. المرحلة الأولى منها من غات إلى البركّتْ، وهي كما يصفها الكاتب، «بلاد فيها النخيل وماؤها كثير».

والأهمية التي يشكلها الطوارق في تاريخ الصحراء، وعلاقاتهم بالقبائل الصحراوية الأخرى، ومدى تأثيرهم في تأمين أو عرقلة التواصل بين شمال وجنوب الصحراء، وفي إنسياب التجارة الصحراوية، وفي دعم أو عرقلة مشروع التوغل الفرنسي في الصحراء وتحويل طرق التجارة الصحراوية عبر الجزائر، فقد كرس الكاتب الباب الثالث من المخطوط للحديث عن الطوارق.

لماذا سموا بهذا الاسم وأسماء قبائلهم، ، وأعداد وأسماء أعراشهم وحكامهم، وعاداتهم، وتقاليدهم وحروبهم وعلاقاتهم التجارية والاقتصادية، وأحوالهم الاجتماعية وانتماءاتهم الصوفية ... الخ.

19 – وانتشار هذه اللغات في تلك المنطقة هو نتيجة طبيعية لتعامل أهل غات مع مختلف الأجناس وانفتاحهم واختلاطهم مع مختلف الفئات الاجتماعية، ولا زالت هذه اللغات قائمة في غات ، ولازال الغاتيون يتخاطبون فيما بينهم بالهوسا والطارقية، كما يتخاطبون بالعربية على حدٍ سواء.

ويرسم الكاتب اسمهم «التـوارك»[20]، أما الطوارق فيطلقون على أنفسهم اسم « إيموهاغ» ولغتهم تاماهاغ . وفي اللغة العربية الطوارق ومفردها طارقي أو تارقي. وقبل استعراض ما جاء في المخطوط عن الطوارق، يحسن بنا تقديم بعض المعلومات الإضافية عن الطوارق والظروف المتصلة بالأوضاع في المنطقة عندما كتب الشيخ العروسي تقريره أو كتابه.

الطوارق:

القبائل المعروفة اليوم بالطوارق ، والتي تنتشر في الرقعة الجغرافية الواسعة الممتدة بين جنوب الجزائر وصحراء شمال النيجر ومالي ، وفي غرب وجنوب غرب ليبيا في المثلث ما بين مرزق وغات وغدامس ، هم من سكان الصحراء الكبرى القدماء ، يعودون في أصلهم إلى قبائل الجيتول الليبية القديمة التي منها تفرعت أيضا قبائل زناتة وصنهاجة. وأغلب الظن أن قبائل الطوارق تنحدر من جدالة ولمتونة ومسوفا ولامتا التي كانت تنتشر في الصحراء الكبرى.

يتضح بقراءة كتاب إبراهيم الكوني ((**لغز الطوارق يكشف سرى الفراعنة وسومر**)) وكذلك كتاب ((**وصف أفريقيا**)) لمحمد الحسن الوزان المعروف بليون الأفريقي فيما تخص كلمة التوارك وغيرها.

وقد حظي الطوارق – كأحد قبائل الصحراء – باهتمام الرحاليين الأوروبيين ، وخاصة

20 – يرسم اسم الطوارق في الأدبيات المختلفة بصيغ متعددة كالتوارك ، التوارق ، والطوارق . ويعلل الكاتب إطلاق اسم «التوارك» على قبائل الطوارق نسبة إلى الأبناء الذين تركهم آباؤهم من بني هلال مع امهاتهم الصحراويات. واعتماداً على أسطورة خرافية ترتبط بهجرة بني هلال إلى شمال إفريقيا، وتربط نسب الطوارق إلى بني هلال. حيث أن ذياب الهلالي قد تكفل مع أربعين شخصا آخرين من قبيلته أثناء إقامتهم بقرب تونس، بحماية الإبل، قد قتل جنيا ضخما من الجان كان يخيف بعض سكان الصحراء. واتقاء لشره كانوا يتركون له أمام سور بلدتهم بنتا صغيرة وقصعة كبيرة مملوءة طعاما كل يوم. وعندما حضر إلى بلدهم ، في اطار بحثه عن عفريت كان قد ضرب ناقة له حسب تلك الأسطورة، فقلَّ حليبها، والذي كان مخصصاً لشرب فرسه، حتى وصل إلى هذه البلدة ورأى ما رأى استفسر من أهل البلدة عن سر هذا العمل فشرحوا له القصة. فترصد لهذا الجن حتى جاء هذا الجن كعادته، وتصدى له ذياب أمام سور البلدة وقتله، وخلص أهل البلد من شره. واعترافاً بفضله عرضوا عليه مكافأته بما يريد ، فطلب منهم منحه أربعين=

= بنتا بكرا ليكن زوجات لرفاقه حراس الإبل. وهكذا تزوج هؤلاء تلك البنات وأنجب بعضهم منهن ذرية أثناء إقامتهم في الصحراء. ولكن عندما جاءهم سعد اللبيب، وغادر معه حراس الإبل، لم يصحبوا معهم زوجاتهم الصحراويات ولم يأخذوا معهم أبناءهم، فتركوهم مع أمهاتهم. وسمى أولاد هؤلاء النساء «التوارك»؛ لأنهم تركوهم ومشوا عليهم. وتعلل مصادر أخرى التسمية بالتوارك لأنهم في بداية انتشار الدعوة الإسلامية تركوا الحق، ولكن جميعا بعد ذلك اعتنقوا الإسلام، وان لم تترسخ بينهم القيم الحقيقية الإسلامية بسبب العزلة وانتشار الأمية بين قبائلهم. (الحشائشي، ص142) وتنسب مصادر أخرى التسمية بالتوارك، لأنهم، وقد كانوا يعيشون قرب المناطق الساحلية، اضطروا تحت ضغط القبائل الأخرى على « ترك « أوطانهم والنزوح نحو المناطق الصحراوية الداخلية اتقاء لحياة الظلم والاستبداد تحت كنف القبائل الساحلية. ولما ترك الطوارق وطنهم الأصلي بهذه الطريقة أطلق عليهم اسم « تارك « (محمود ناجي ، ص195). ومهما يكن من أمر فإن الثابت تاريخيا أن قبائل الطوارق ينحدرون من القبائل الليبية القديمة ، وهم الذين يصفهم ابن خلدون بالملثمين من قبائل هوارة.

الفرنسيين الذين كانت لحكومتهم أطماع متزايدة في الصحراء منذ وقت مبكـر، لمعرفة وجمع ما يتصل بالطوارق من أخبار، وما يتعلق بأوضاعهم وتقاليدهم من معلومات قد تساعد الفرنسيين على تنفيذ مخططاتهم في الصحراء بمساعدة هؤلاء الطوارق، أو ، على الأقل ، دون التعرض لعداوتهم[21]. وكانت بعثات فرنسية عديدة قد تعرضت لإعتداءات قبائل الطوارق ما بين غدامس وغات وما وراء الأخيرة في اتجاه أير وتمبكتو وبلاد الهوسا ، (بعثة فلايتر وقتل أفرادها عام 1881 ، وقتل أعضاء البعثة التبشيرية 1874، على سبيل المثال). ونتيجة لذلك فقد بث الرحالون الأوروبيون كثيرا من الأفكار والمفاهيم الخاطئة والمشوشة حول الطوارق ، والتي تحتاج إلى تدقيق وتصحيح. وخاصة ما يتعلق بأسماء تشكيلاتهم القبلية ، وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، وتاريخهم وسلوكهم ومعاملاتهم مع غيرهم من الغرباء وخاصة الأوروبيين.

وظهر أن الطوارق يشكلون عقبة كبرى في وجه التوغل الفرنسي في الصحراء ، بالإضافة إلى موقف سكان توات وغات والسلطات العثمانية التركية. وقتل أفراد بعثة فلاتير ورجال البعثات التبشيرية، الذين كان ينظر لهم الناس الصحراويون كجواسيس، قد أبطل مشاريع فرنسا لمد سكة حديدية تخترق الصحراء من الجزائر إلى النيجر وبحيرة تشاد . وعلمت فرنسا بعد ذلك أن عبور الصحراء من الشمال إلى الجنـوب يتطلب احتـلال الأراضي التي تمر عليها هذه السكة والانتصار على الأقوام التي تسكـن الصحراء ، الطوارق . وهذا ليس سهلا. ما أوقف فرنسا عن تحركاتها في الصحراء حتى مطلع القرن العشرين . وهكذا شكل طوارق الشمال الذين ينتمي إليهم

21 – لقد أرسى حاكم الجزائر العام المرشال راندو **Randon** أسس السياسة الفرنسية الصحراوية، وهي أولا معرفة الصحراء والنفوذ إليها اقتصاديا بمساعدة سكانها. وفي هذا الإطار بدأت منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر المحاولات الفرنسية لإقامة علاقات مع طوارق الأزقر وكسب نبلائهم الذين يتحكمون في طريق غدامس – غات. وهذه الطريق هي الممر الأكثر استخداما لمرور تجارة الصحراء والسودان، وهي طريق النفاذ إلى الصحراء . وقد أظهر نبلاء الأزقر ميلاً للتعاون مع الفرنسيين عندما قبل وفد منهم دعوة لزيارة الجزائر العاصمة، ومقابلة الحاكم العام. وقد وعد اخنوخن زعيم التحالف الأزقري بتسهيل مرور التجارة الفرنسية عبر أراضي قبيلته، الأمر الذي أخاف الغاتيين وجعلهم ، كما سنرى، يسعون إلى الارتباط بالدولة العثمانية والدخول تحت سلطتها، وتتكرر طلباتهم مع تزايد الأخطار الفرنسية وخاصة بعد معاهدة غدامس عام 1862 بين الطوارق وفرنسا. ونصت المادة الأولى منها على الصداقة والتعاون بين السلطات الفرنسية ورؤساء الطوارق وسكان الجزائر، ونصت المادة الثالثة على أن يضمن الطوارق سلامة التجار الفرنسيين والجزائريين القاصدين السودان عبر بلادهم، ويأخذون لذلك أتاوة المرور وأجرة الجمال حسب التعريف الملحقة". مع نصوص أخرى مغرية بالنسبة للطوارق (انظر لمزيد من التفاصيل، تشايجي، ص71 – 72)، ولكن لم يكتب النجاح لهذه المعاهدة؛ لأسباب عديدة صبّت في النهاية لصالح السياسة العثمانية التي وجدت تجاوباً من قبل الغدامسين والغاتيين وكذلك رؤساء قبائل الطوارق ، رغم حروبهم وعداواتهم فيما بينهم. حيث نما بينهم الشعور المعادي للفرنسيين والارتياب في خططهم وبرامجهم، وعدم الاطمئنان لمبعوثيهم ومهاجمتهم وقتلهم، ما افشل في النهاية الخطط الفرنسية لتحويل مسار تجارة السودان إلى الجزائر.

الهقار والازقر والذين ينتشرون في جنوب الجزائر وفزان أهم المجموعات القبلية الطوارقية التي وقفت في وجه التوسع الفرنسي في الصحراء.

وبسبب الصراعات القبلية والتنافس على الزعامة كانت الحروب والصدامات المسلحة طابع العلاقات بين المجموعتين. وفي القتال الذي جرى بين المجموعتين ما بين 1284-1290 الموافق (1867 - 1874) وجرى وقفه بتدخل السلطات العثمانية وعقد مصالحة بينهما. واخر تلك الحروب بينهما ما حصل في أواخر القرن التاسع عشر قرب غات حيث تغلب الهقاريون وأجبروا الأزقر على التراجع والالتجاء إلى غات (جامي ، ص172).

وقد استطاع الفرنسيون في إطار مشروعاتهم التوغلية في الصحراء انطلاقا من الجزائر ، إخضاع قبيلة الهقار ، التي ناصبت الفرنسيين العداء ، إلى نفوذهم في مطلع القرن العشرين بعد معركة دامية بين الطرفين عام 1902 تعرف بمعركة تيتTit فقد فيها الطوارق أكثر من مائتي قتيل من أصل 299 مقاتلا من رجالهم اشتركوا في المعركة ضد مرتزقة الجيش الفرنسي الذين خرجوا من توات ، ويقدرون بـ 130 جندياً. (جامي ، ص172-73) أما المجموعة القبلية الأزقر وأهم قبائلها أوراغن، وإيمنان ومنغساتن المنتشرة في المناطق الجنوبية الغربية من ليبيا ، فقد دخلت في ظل السيطرة العثمانية منذ العقد السادس من القرن التاسع عشر. ورغم ذلك، وفي إطار التنافس مع قبائل الهقار المعادية للفرنسيين، فيبدو أن الأزقر قد احتفظوا بعلاقات سلمية مع الفرنسيين الذين بدأت سلطتهم تمتد وتترسخ في صحراء الجنوب الجزائري المتاخم لمواطنهم، كما أشرنا.

لقد رتب العروسي القسم الثالث من المخطوط في فصول، ويبدأ الفصل الأول بذكر أن الطوارق ينقسمون إلى خمسة فروع أو مجموعات قبلية كبرى وهي[22]:

---

22 – ينقسم الطوارق إلى مجموعات قبلية، أو اتحادات فدرالية تجمعهم. ورئيس كل مجموعة يسمى «أمنوكال» ولكن سلطته الفعلية لا تتعدى قبيلته. ورئيس أو شيخ القبيلة يسمى «إمغار».ومن ناحية اجتماعية ينقسم الطوارق إلى طبقتين هما، طبقة الأحرار أو النبلاء وتسمى» اهاقار»، وهم الذين يحملون شعار القبيلة. وطبقة الرقيق «امغاد» وهؤلاء يحملون شعار أسيادهم، ويعرفون بين الطوارق بـ « كيل أولي» التي لا تعني في لغة تاماهاغ «رعاة البقر» كما يذكر (جامي، ص164) وإنما تعني أصحاب الماعز، وفي معناها الواقع الذين يملكون ثروة من الماعز والضأن. وهناك طبقة وسطى تقع بين طبقتي الأمراء والعبيد تسمى الأتباع وتنسب إلى طبقة الأحرار، وهم في الغالب ممن كانوا في السابق نبلاء، ولهم حق حمل شعار قبيلة النبلاء التابعين لها. وأغلب الدراسات تقسم الطوارق إلى أربع مجموعات قبلية، وجغرافيا إلى مجموعتين شمالية وجنوبية، أو طوارق الشمال وطوارق الجنوب: الشمالية وتضم مجموعتي الهقار والأزقر، والجنوبية وتضم كيلوى وماويديرن، ويقيمون بجبل سكماره، وعوليمندن ويقيمون في شرقي تمبكتو. ويعتبر طوارق الشمال أنفسهم هم من ذوى الأصل الخالص بالنسبة لطوارق الجنوب، وبالتالي أرقى حالاً وأكثر اعتباراً لعدم اختلاطهم العرقي، بينما طوارق الجنوب صاروا خليطاً متنوعاً لكثرة امتزاجهم بالجنس الأسود. وكاتب المخطوطة التي نستعرضها ربما أراد بمجموعتي الطوارق البيض والطوارق السود التفريق بين نوعين من الطوارق بسبب اللون الناجم عن الاختلاط وعدم الاختلاط بالأقوام الأخرى. وأغلب قبائل الطوارق تستمد أسماءها من أسماء الوديان والجبال والعيون، أو المراعي التي يقيمون فيها وحولها مثل كيل اريكن، كيل ايزابن، كيل أراس، كيل أهرر... الخ، وكلمة كيل في لغة التاماهاغ تعني صاحب، متوطن، مقيم، والكلمات التي تليها (كما أشرنا أكثرها أسماء أودية، أو جبال، أو مراعي، فكيل اريكن على سبيل المثال تعني أصحاب اريكن، وهو وادٍ في جنوب غات) (جامي، ص166).

1. طوارق هقار 2. طوارق أزقر 3. طوارق أوضاغ
4. طوارق السود 5. طوارق البيض .

وكل قسم من هؤلاء يسكن في أماكن خاصة أو أراضٍ معروفة حددها الكاتب في ثنايا فصول المخطوطة. ويعطي بعض المعلومات المفيدة عن كل مجموعة من هذه المجموعات.

وأولهم طوارق هقار، فيقول أنهم مقيمون في وادي قراقر والكدية، ويعيش معهم أربعة بيوت أو عائلات من الشعانبة، قدموا عليهم على أثر وفاة الكولونيل الفرنسي فلا تيرس (Flatters) في شهر(فبراير 1881)[23]. وذكر أسماء هؤلاء الشعانبة وهم: بو سعيد، والصغير بن الشيخ، وعبد القادر بن الغوت، وأدياب بن الأخضر.

ووادي قراقر والكدية، تجرى فيهما عيون الماء كالأنهار، وبعبارة المؤلف «مثل الوديان» ويحرث السكان على مياه هذه العيون الحبوب وبعض الفواكه ولا يوجد لديهم نخيل. وتمثل هذه المنطقة مقر إقامتهم الدائمة، ويرحلون عنها بغرض الرعي في المناطق المحيطة. وعندما يتعرضون للخطر يتحصنون بالكدية، التي هي عبارة عن جبل عالٍ لمسيره أربعة أيام، وبه نباتات كثيرة، وبه طريق واحدة من الجهة الشمالية. والأرض المحيطة بالجبل أرض مستوية «مطروحة».

ويقدر عدد طوارق الهقار بثمانمائة رجل يركبون جمال المهاري الحرة الجيدة «الملاح»، بلغة الكتب، والخيل عندهم قليلة. والحراطين (هكذا) والأصح الحراثين والعبيد الملحقين بهم يقدر عددهم بألف رجل.

والحراثين عبارة عن أبناء العبيد والإماء ممن تربوا وعاشوا مع الطوارق.

وقد اتخذ الهقار موقفاً معادياً للتوغل الفرنسي في مناطق الصحراء. وقد قتلوا الكولونيل الفرنسي فلاتيرس، ويقول الكاتب إنه بلغه أنهم صرحوا بأنهم سيقاتلون الفرنسيين إذا وطأوا

---

23 – لم يذكر المخطوط تاريخ واقعة القتل. لقد استكملنا التاريخ من تشائجي وآخرين، والذين تعرضوا لهذا الحادث في إطار مقاومة الطوارق لمشاريع التوغل الفرنسي في الصحراء. وفلاتيرس (1832 – 1881) كان ضابطاً في الجيش الفرنسي بالجزائر برتبة عقيد، وكلف برئاسة بعثة من ثلاث بعثات أنيط بكل منها دراسة إمكانية مد خط سكة حديد من موانى الجزائر عبر الصحراء إلى بلاد السودان. وكلف فلاتيرس لهذه المهمة. بكشف ممر السكة الحديدية ما بين النيجر والسودان، وبسبب معرفته باللغة العربية، وفهم اللهجة المحلية ووصل من بسكرة إلى تماسين في فبراير 1880.

وقد اضطهر لقطع رحلته والعودة بعد أن تجمعت عدة ظروف حالت بين مواصلة الرحلة عبر غات وأراضي الأزقر. وفي ديسمبر 1881 أعاد الكرة عبر بلاد طوارق الهقار، ولكنه، ومعظمم أفراد بعثته لقوا مصارعهم على أيدي طوارق الهقار قرب بير قراره. لتفاصيل أكثر حول بعثة فلاتيرس، أنظر تشائجي، ص90 – 96.

أرضهم، وقد استقبلوا قاتلي ضابط فرنسي آخر لجأوا إليهم[24]، وإذا هزموا فإنهم سيهجروا أرضهم. ويشير العروسي أنهم، إذا اضطروا إلى الهجرة، فسيذهبون – حسب رأيه – إلى تنبكتو وبلاد السودان الغربي وليس إلى الغرب حيث توجد بعض العداوات بينهم وبين قبائل عربية يقال لهم عرب الساحل.

ويذكر الكاتب بعض عوائد الطوارق بشكل عام، ومنها أن الطارقي لا يتزوج إلا بامرأة واحدة، أي ليس عندهم نظام تعدد الزوجات. وإذا خلا كرسي المتولي عليهم، فيحل محله ابن أخته، وليس ابنه، حسب عوائدهم التي تعود إلى أجدادهم القدماء حيث يقدمون ابن البنت على الابن وابنه[25]. لتعليل ذلك يراجع كتاب الكوني المشار إليه.

كما يتعرض لبعض عوائد الطوارق في إكرام الضيف وإقامة الأفراح والأعراس ودور المرأة في ذلك، ويصف لباس النساء والرجال وعادة الرجال في الأكل من تحت اللثام بحيث لا ينظر إليهم أحد من الغرباء وهم كاشفين أفواههم أثناء الأكل.

ولباس النساء كل على قدرها، ويتكون من ثوب وحزمية وحولي. وتعلق المرأة في أذنها خرصاً من الفضة. أما الرجال فيلبس النبلاء منهم الصاي كالثوب والحولي والسروال ويتلثم به فلا ترى إلا عينيه. ويجعل في يده اليسرى الذرعية، ويجعل بعضهم في عاضده الأيمن شيئاً مصنوعاً من الطين مثل المقاس يقوى به عاضده حين يضرب بالسيف في القتال. ويعلقون في أعناقهم أحراز يتحصنون بها على العدو وقت القتال[26].

24 – هناك حوادث اغتيال كثيرة لفرنسيين حاولوا استطلاع بلاد الطوارق، ودراسة إمكانية تحويل مسار طرق التجارة السودانية عبر الجزائر بدل غدامس وطرابلس. ولعل الكاتب يشير هنا إلى حادثة الاعتداء على المركيز دي موريس الذي حاول منطلقاً من تونس، بالتعاون مع أحد تجار غدامس يدعى علي الثني، عبور طريق غدامس – غات إلى بلاد السودان بكمية من البضائع في مغامرة يائسة لفتح باب التجارة مع تلك المناطق، ولكن تعرض وجماعته إلى القتل ونهبت بضاعته في 9/ 6/ 1896 بالوطية على بعد 560 كيلو متر من غدامس. (لتفاصيل أكثر حول هذه البعثة، انظر الحشائشي، ص44 – 55، 147 – 151).

25 – فالإرث والحسب والنسب عند الطوارق لا يأتي عن طريق الأب، ولكن عن طريق الأم. والرجل يكون من الأحرار إذا كانت والدته منهم. وبناء على هذا الحق، يكون مقام المشيخة وطبل القبيلة في حالة خلو مقام المشيخة لابنة الشيخ المتوفي التي تفوض أمر الرئاسة العائد إليها بالإرث لابنها أو أخيها من رجال القبيلة، (جامي، ص165).

26 – يذكر الحشائشي الذي زار غات ومرزق عام 1896، وقابل الطوارق واجتمع بالكثير من أعيانهم وارتبط بهم، وتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، أن رجال الطوارق يحمل الواحد منهم في عنقه مجموعة الأحُرز، مفردها حرز، (لاتقل عن ستة)، وأنه حظى بكثير من الاحترام والتقدير من قبلهم، وكتب لبعضهم لاستعمالهم الخاص أكثر من 150 حرزاً، (الحشائشي، ص145). وأنظر أيضاً (جامي، ص146 – 148)، الذي يذكر أن الغاتيين والطوارق على حد السواء «فوق ملابسهم يعلقون الأحجبة، الفقير والغني كل الغاتيين يشاهد عليهم عدد من الأحجبة المربوطة في سير من الجلد يتدلى من رقابهم. وفي غات الكثير من المدلسين الذين يعتمدون في معيشتهم على كتابة هذه التمائم ...... ولقد استغربت جداً أول ما رأيت شيخ قبيلة الهقار الشيخ أتيسي، وفي رقبته عقد يحتوي من التمائم ما يزيد وزنه على ثلاثة كيلو غرام تقريباً، وعلى طربوشه التونسي صففت 24 محفظة صغيرة من الفضة...).

وينتعلون أحذية تسمى «المداس» في أرجلهم. ويصنعون بيوتاً صغيرة من الجلد مثل بيوت الشعر(27).

وفي الفصل الثاني يتحدث الكاتب على المتولي على طوارق هقار. وكان وقت ذاك يسمى ايتاغل(28)، الذي تولى السلطة بعد الحاج أحمد.

وفي الفصل الثالث يذكر فروع أو عروش الهقار والمتولين عليهم، وهم:

العرِش	**المتولي عليه أو كبيره.**
1. كلْغلاو كيل غلا	تيسى بن شِكاتْ.
2. تَايتُوقْ	أخليفة.
3. السلطنة	موسى بن أماستان.
4.سُقَّمارن	عبْدَ العرش.
5.أولاد مسعود	سيدي بن شكاتْ.
6.اهْضَنارَنْ	محمد اِيَغيْدَنْ.
7.أولاد الحاج سيدي البكري	الحاج عبد الرحمن بن الحاج محمد.
8.فُغاس تِسيِلِ	سيدي محمد بن إدّا.

والفصل الرابع يتحدث عن أرباب الشريعة، فيذكر أن القاضي بينهم اسمه سيدي محمد بِكَّتا بن إبراهيم بن سيدي محمد بن أمَّدْ. والعدول أو شهود القاضي فهم: الحاج عبد الرحمن بن الحاج محمد بن الحاج البكري السوقي، سيدي محمد بن إبراهيم بن سيدي محمد بن اسَّدْ، وهو أخ للقاضي المذكور، محمد بن الغزالي السَّقمَّاري، ومحمد بن سليمان الغزَّاوي.

الفصل الخامس في أسماء الزوايا والمقدمين عليها، وأسماء المشائخ الناقلين عليهم الطريقة. فقد لاحظ الكاتب عدم وجود زوايا صوفية عندهم، وبالتالي لا يوجد مشائخ زوايا. ولكن هناك

---

27 – تسمى هذه الخيام أو البيوت المصنوعة من جلود نوع من الثيران السودانية»كلابو» ومساحتها في حدود متر ونصف طولاً وعرضاً، (الحشائشي، ص140، 141).

28 – تولى أيتاغل السلطة بعد وفاة الحاج أحمد في أبريل 1876 في قمة الصراع بين الهقار والأزقريين، وقد تعهد حال استلام السلطة بمواصلة الحرب ضد الأزقريين الذين كانوا قد استعانوا بعرب قبائل فزان وبدعم السلطات العثمانية في مرزق، إلا أن تهديده بالتعرض لكل القوافل والعابرة إذا لم يكف عرب فزان عن مساندة اخنوخن زعيم الأزقر، ما جعل السلطة العثمانية تتدخل وتضغط على اخنوخن بالتزام الهدوء، واسفرت جهود الاتراك في التوصل إلى صلح بين اخنوخن وبين ابن أخيه، وبين الأزقر والهقاريين، (تشائجي، ص85، 86). وتولى السلطة بعد وفاته ابن اخته، اتيسى الذي هاجم في حياة خاله بعثة فلاتيرس الفرنسية وقضى عليها. وعندما استولى الفرنسيون على بلاد الهقار لجأ إلى الأراضي الليبية الخاضعة للسلطة العثمانية (جامي، ص146).

أفراد ناقلين أو أتباع لهذه الطريقة الصوفية أو تلك كالتجانية والسنوسية. ولكن الأكثرية من هؤلاء الأتباع هم أتباع طريقة سيدي البكاي من تنبكتو.

والفصل السادس يتحدث فيه الكاتب عن مجال حركة طوارق هقار، والمناطق التي يتجارون معها، وتربطهم بها علاقات تجارية، أو احتكاكات عدوانية أحياناً، فهي أهل توات وعين صالح والخنافسة وتنبكتو حيث يجلبون التمور من توات وعين صالح. وفي بعض الأحيان يصلون إلى غات «يتطمعون ويوعدوهم بالعافية من جانبهم». ويسافرون إلى السودان عن طريق تنبكتو.

وفي الفصل السابع يذكر الكاتب لغة الطوارق، ويصفها بالأعجمية. ويذكر الأرقام من واحد إلى عشرة في لغة الطوارق، وما يقابلها باللغة العربية، كما يذكر بعض الجمل والعبارات في اللغة الطارقية وما يقابلها بالعربية، كالسلام عليكم، عليكم السلام، واش حالك ... الخ.

والفصل الثامن كَرَّسه الكاتب للحديث حول كيفية حروب الطوارق وأساليبهم في القتال، وأنواع الأسلحة، فيذكر أن الطوارق الأحرار الذين يطلق عليهم الكاتب، اسم الأجواد فيركبون المهاري، وسلاحهم البنادق» مكحلة مقرون» وأزندتها كأزندة العرب، وسكين ودرعية يحملها المقاتل في اليد اليسرى، حتى إذا قبض على عدوه مسكه بيده وضمه إلى صدره، ويسل الذرعية من ذراعه الأيسر بيده اليمنى ويطعنه بها. كما يحمل معه المحارب الدرقة[29]، لتوقي عليه وقت الحرب النشاب والمزراق[30]. أما أساليبهم في الحرب فإنهم يقاتلون على وجه الأرض، فلا يقاتلون وهم ركوب على المهري، وأكثر أوقات حروبهم بالليل، ولا يستطيعون المقاتلة في النهار ضد راكبي الخيل التي لا تستطيع المهاري مقابلتها. والحراثين والعبيد من أتباعهم فسلاحهم يتكون من حريش وسكين فقط.

وفي الفصل التاسع يذكر الكاتب الطريق من هقار إلى عين صالح مرحلة مرحلة، وعددها إحدى وعشرين مرحلة.

والفصل العاشر يذكر مراحل الطريق من هقار إلى طوارق أضاغ وتنبكتو، وعددها إحدى وعشرين مرحلة أيضاً.

---

29 – الدرقة، في اللهجة السر والخفاء وتعني ساتر أو حاجز، وهي هنا تعني ترس مصنوع من الجلد السوداني الأبيض تقاوم ضربات السيوف بفضل الاستيكيتها، (جامي، ص171).

30 – ويقول جامي أن «أسلحة الطوارق من غير الحربة (الرمح) الحديدية الدقيقة الطويلة سيف قبضته على شكل صليب مغلفة بالجلد، وخناجر وتروس بيضاء من الجلد للدفاع، وهذه التروس مطاطية مصنوعة من جلد جاموس الماء»هيبو يوتام» تقاوم ضربات السيوف.... ولكنها بقيت الآن (1908) زينة تعلق في جانب راحلة الهجين» (ص170 – 171). ويلاحظ (جامي، ص172) أن الطوارق أثناء إقامته في غات (1906 – 1908) « بعد أن عرفوا الأسلحة النارية في الحروب، أصبحوا يملكون البنادق الحديثة من كل نوع، وأكثرهم مسلحون ببنادق من طراز (غرا) التي انتشرت وكثرت في أواسط أفريقيا بفعل المهربين اليونان الذين يدخلونها إلى ساحل ليبيا».

وقد خصص الكاتب القسم الثاني من التقرير أو المخطوطة للحديث عن طوارق أزقر ومساكنهم .... الخ.

وخص الفصل الأول منه للحديث عن مساكنهم وأماكن تنقلاتهم. فيذكر أن مساكنهم في تخمالت على مسافة ثمانية أيام على طريق غات – عين صالح، وفي تارت على مسافة خمسة أيام عن غات على طريق غات – عين صالح. وهذه المناطق غنية بالمياه وتغطيها الأشجار والنباتات وتجـرى وديانها بالمياه كالعيون. وإذا شعروا بالخطر لجأوا إلى فزان «لأنهم حمايتهم ينغرون معهم»، أي أنهم يتبعون فزان ويفزعون معهم وقت الحاجة. وعدد رجالاتهم الأحرار ثلاثمائة رجل، وعدد أتباعهم من الحراثين والعبيد سبعمائة رجل. وسلاحهم وأساليبهم في القتال فهي مثل أسلحة الهقار، ويتبعون نفس الأساليب في الحرب.

وقد قام جماعة من طوارق أزقر مع بعض الشعانبة بمهاجمة بعثة فرنسية بقيادة ضابط يدعى بول فلاتيرس Paul fLatters، خرجت في مهمة لوضع تخطيط لسكة حديد عابرة للصحراء حتى تبلغ السودان بين النيجر وبحيرة تشاد. وقد انتهت تلك البعثة عند بئر الغرامة في 16/ 12/ 1881، بقتل الضابط وأغلب أعضاء البعثة على يد خمسة مهاجمين من الطوارق والشعانبة. طوارق الأزقر، وكتعبير عن استنكارهم لهذه الفعلة، أبلغوا الجناة بضرورة مغادرة مضارب القبيلة "فلا نحتاجكم لا جعل (هكذا) (والأصح لأجل) فعلتكم لعيب مع الدولة الفرنصوية". وإزاء احتجاجات طوارق أزقر رحل الجناة إلى هقار الذين رحبوا بهم وقدموا لهم الحماية.

ومواشي الطوارق "الإبل" تترك طليقة في الفلاء من دون رعاة. وهي عندما تحس بالعطش ترد إلى المياه حيث يستقبلها أصحابها على آبار الشرب ويسقونها، ويتركونها تذهب في حال سبيلها وهكذا. وعندما تلد ناقة وليدها يكوونه بالنار على سيمة صاحب الناقة. والطارقي الغني جداً "مركانتي" أي غني يملك ما بين مائتين وثلاثمائة خف (أي رأس من الإبل).

والفصـــل الثاني يتحـــدث عـــن سلطـان طوارق أزقـــر، فيقـول أن اسمـــه أخنوخـن وله ابن اسمه محمد[31]. وخنوخن هذا كبير وطاعن في السن. فقدم ابن اخته المسمى يحي الذي

31 – محمد بن اخنوخن الذي كان متعاطفاً مع القائمقام محمد الصافي ومتعاوناً معه في محاولاته اليائسة للقضاء على تمرد الطوارق (1885 – 1886) وضرورة تسليم محمد الشريف الهارب من وجه السلطة العثمانية، حاول أن يخالف التقاليد الموروثة، ويتسلم عرش السلطة بعد أبيه بدعم الأنصار ومتصرف فزان، ولكن التعليمات الصادرة من مركز الولاية جاءت مغايرة لرأي سلطات فزان التركية، وتأمر المتصرف بالتزام سياسة دقيقة لا تقود إلى معاداة يحي وإغضابه وتحول بالتالي دون إقرار الأمن والاستقرار (الدجاني، ص392، 393).

مات[32]، وتولى مكانة مولاي بن خدّاج الذي تزوج بنت الحاج خنوخن واسمها توارت.

ويحدد الفصل الثالث أسماء قبائل أزقر، وكبار كل قبيلة، أو حكام عروشها:

فُغاسْ	كبيرهم أماًّ ولد سيدي موسى.
مَغْسَاطَنْ	افنايت (من أتباع التجانية).
أُواغَنْ	اخنوخن وابن أخته يحي.
اَهْضنارَنْ	فيل حمد اني فساد (يسكن جانب).
فغاس نطبلْ	علي او نزق وعباس والصديق.
امنان	امودو.
كيلزَبانْ	محمد بن اخنوخن وعبده ولد ازّبزره.
كِلْتِدْ رارت	خنوخن.

والفصل الرابع والخامس يتحدثان عن القائمين بأمور الشرع والزوايا الصوفية المنتشرة بين

32 – لقد تجاوز اخنوخن المائة عام من العمر، وضعفت قدرته التحكمية في الأمور، وخرجت الأمور من تحت سيطرته ، وزاد التنافس بين أقربائه الذين كانوا يريدون نصيباً أوفر من الاتاوات التي يجمعها من قوافل العبور مما أوقعه في مشاكل معهم وعداوات، وحروب مع طوارق الهقار الأخرين الذين بدأوا يحسون بوطأة النفوذ التركي في المنطقة الذي حدّ من قدرتهم على التحكم في حركة المرور، وفرض إرادتهم كما يشاءون، كما أن المشاكل مع الشعانبة والتعديات المتكررة منهم على الطوارق قد زادت من تعريض الأمن والاستقرار لمزيد من المشاكل ما أثر في إنسياب البضائع بين السودان وغدامس، وتحولت التجارة إلى خط مرزق.

في هذه الظروف كانت السلطة العثمانية التركية بفزان تواجه انتفاضة المدعوين الشريف حميد ومحمد في الشاطئ، وقد نجحا في الهروب من الحصار في الديسة بالشاطئ. ولجأ الشريف محمد إلى غات وتحصن بالبركت ودعا الطوارق إلى الثورة معه ضد الأتراك؛ الأمر الذي شجع الطوارق على الثورة ومحاصرة غات على أثر محاولة جنود الحامية التركية مهاجمة الثائر في البركت، وإطلاق النار عليه؛=

= ما اعتبره الطوارق اعتداء على ضيف عزيز، فأعلنوا الحرب على الأتراك مع التصميم على قتل عساكر الحامية، وفرضوا الحصار على مدينة غات حتى لم يعد يدخل أو يخرج منها أحد، ويستولون على البضائع والامدادات الواردة عليها سواء للدولة أو للأشخاص والتجار العاديين. وعاشت المدينة في ظروف نفسية وسياسية وحربية عصيبة، كما تكشف عنها الرسائل والتقارير العثمانية المتبادلة بخصوص هذه الأزمة بين قائمقام غات ومتصرف فزان وقائمقام غدامس، ورسائل أهالي غدامس في غات إلى ذويهم (لمزيد من المعلومات أنظر، أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، ط1، المطبعة الفنية، الحديثة (1971) في هذه الظروف عام 1886، مات اخنوخن زعيم قبائل ازقر وقائمقام جانت المعين من قبل العثمانيين، وخلفه في عرش السلطة ابن اخته يحي اغ ان تيلليماك، الذي كان غائباً في زندر. ولما حضر، وكان لا يريد وجود الأتراك في المنطقة، وبسبب احتكاكه بهم غادر إلى برنو، اجج الصراع ضد القائمقام محمد الصافي الأنصاري وضد الوجود التركي في غات. وتتالت الأحداث بعد عودته بشكل متسارع، فاتخذ جانب الشريف والتحق بالثوار بالبركت، وساهم في شن الغارات على القوافل، وانتهت المواجهة باستيلاء الثوار على غات في أكتوبر 1886، بقتل القائمقام محمد الصافي وقائد الحامية التركية في غات، وفقد يحي حياته أيضاً. وعادت القوات التركية لغات مرة ثانية في ربيع عام 1887، دون قتال ونصبت الحسن بن الحاج أحمد بن الحسن الأنصاري، ابن أخ محمد الصافي القتيل قائمقاماً مكانه على غات. (تشائجي، ص124).

الأزقر، ومشائخ هذه الطرق. ويقول إنه لا يوجد قاضٍ لديهم، وربما كانوا يحتكمون، إذا اقتضت الحاجة، إلى أقرب مكان لديهم فيه قضاة. أما الزوايا الصوفية فلا توجد عندهم زوايا، وإن كان بعض رجالاتهم مقدمين يتبعون هذه الطريقة الصوفية أو تلك. فإنقَدَازَنَ كان على الطريقة السنوسية وناقل على التجانية هو وآخرين، وهناك جماعة أخرى ناقلة على الشيخ المدني، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن المقدمين على الطريقة التجانية محمد اَدِّي على عرش مغساطن، وسي يامّا بن سي محمد على عرش أولاد سيدي موسى، والحاج محمد بن الحاج محمد دهنه على عرش فغاس.

والفصل السادس أشار فيه الكاتب للمناطق التي يتعامل الأزقر معها، ويتاجرون معها ويتنقلون فيها، وهي عين صالح وغات وغدامس وفزان. ويجلب الأزقر من هذه المناطق حاجتهم من التمور، ويقومون بكراء إبلهم إلى الغدامسية لنقل بضائعهم إلى غات والسودان والعكس.

والفصل السابع والثامن خصصا للحديث عن لغة الأزقر وأسلوب حروبهم فقال إن لغتهم لا تختلف عن لغة طوارق الهقار، وكذلك سلاحهم وأساليب قتالهم.

وخصص الفصل التاسع للحديث عن ذكر الطريق من تارت وتخمالت، موطن طوارق أزقر، إلى غات وعين صالح، وسبق بيانه في الحديث عن الطريق من غات إلى عين صالح. والطريق من أزقر إلى طوارق أدغاغ، وعددها سبع عشرة مرحلة. والطريق من طوارق اضاغ إلى تنبكتو طولها خمسة مراحل، ولكن الكاتب يقول « لم نقف على تفصيل ذلك». ومن أضاغ إلى هقار مسافة عشرين يوماً. لم يعط الكاتب تفاصيل مراحلها، أو محطاتها.

بقية الفصل العاشر خصصه الكاتب للحديث عن طوارق أضاغ، فيقول إن لهم سبعة بلدان الأولى منها تسمى مبروكة، وكبيرهم بوخبّاتة، والثانية المامون، والثالثة بوجبيحة، الرابعة واروان، الخامسة أولاد سيدي المختار، السادسة أهل الشيخ والمرابطين، والسابعة الدرمشاكة والبرابيش. وينتقل بعدها للحديث عن ما اسماهم بالطوارق البيض والطوارق السود، وبيان عروشهم ومكانهم ومواطنهم، وهم جميعاً في المناطق الغربية من غات في المناطق المحصورة بين شمال مالي والنيجر وجنوب الجزائر الحالية.